جمـــال . . .

يعود من «باندونغ»

[مايـو ـ أيـار ـ ١٩٥٥]

قـومي!! علامَ تُهلِّلونَ عـلاما؟ ولمنْ نَصبتُم هـذهِ الأعـلامـا؟
ولأيِّ عيـدٍ قـدْ أقمتم مـوكبـاً أبصـرتُ فيـهِ حـرارةً وزِحـامـا
هلْ صارَ وادي النيلِ حُراً بعدَ أن عَـرَفَ الحياةَ تعسُّفـاً وظـلامـاً؟!
هـلْ عادَ دُستـورُ البـلادِ يُـظلِّهـا منْ بعدِ أنْ ذُقنا الأسى أعواما..؟
هـلْ قامَ مِنْ بعـدِ التجبُّرِ نـائبٌ في البرلمانِ يحاسبُ الحكامـا؟!
قدْ خلتُ[1] في دقِّ البشائرِ أنَّهم نـزعوا القيـودَ وحـرَّروا الأقـلامـا
وظننتُ أنَّ هتافَ مَنْ هتفوا على أنقـاضِ سجنٍ فـارقـوهُ حـطامـا
بَشَّرتموني بالخلاصِ.. ومَن يذُق مُـرَّ الحقيقـةِ يـألفُ الأحـلامـا
يـا أمـةً مُنيتْ بـأفـدحِ نكبـةٍ زادَتْ شـقـيَّ حَيـاتِـهـا آلامـا

* . * . * . *

مَنْ ذلـكَ الصنديـدُ ردَّدَتِ اسمهُ هـذي الألـوفُ وقلَّدتـهُ وِسـامـا؟
أَوَ ليسَ مَنْ فـاقَ الطغـاةَ ضراوةً وأحـلَّ مِنْ حُـرِّ الـدِّمـاءِ حـرامـا

---

(١) خلـت : ظننت .

أوَ ليسَ من صبَّ البلاءَ مُضاعفاً ... وأثارَ للرعبِ البغيضِ قَتاما[1]

أَوَ ليسَ مُنكرَ كلّ حقٍ حولَهُ ... ولو استطاعَ لأنكرَ الإسلاما؟

قد كانَ أَولى بالبلادِ لو أنها ... مِنْ حُزنِها خَفَضَتْ لذاك الهاما

هلْ عادَ منْ باندونجَ يا قومي سوى ... مَن سامَنا الإذلالَ والإيلاما

قد راحَ يُعلنُ في المجامعِ رأيَهُ ... ويخطُّ للسِّلمِ المضاعِ نِظاما

ويصيحُ مِنْ فوقِ المنابرِ صيحةً ... لمْ تَعْدُ يوماً أنْ تكونَ.. كلاما

أَيريدُ أمنَ الناسِ مَنْ في أرضِهِ ... ما شاءَ عدلاً. أو أقامَ سلاما

عجباً لتِلكَ صفاقةٌ... بقيودِنا ... عَلمَ الجميعُ ولمْ يزَلْ يَتعامى

الكلُّ يعرِفُ ما بنا... فإلى متى ... يُخفونَ وجهاً في الرمالِ.. نَعاما[2]

* . * . * . *

«نِهرو» رعاكَ اللهُ ثائِرَ أمَّةٍ ... أجَلَستَ في صفِّ الرجالِ غُلاما[3]

هوَّنتَ مِنْ شأنِ البطولةِ حينما ... أنزلتَهُ للمخلصينَ مَقاما

قد كانَ مؤتمراً يضمُّ مَنْ ابتَغوا ... ببلادِهِمْ خيراً... يضمُّ كِراما

فبأيِّ حقٍ قدْ دَعوتَ إليهِ مَنْ ... لمْ يرعَ للشعبِ الكريمِ ذِماما

* . * . * . * . *

ما ذقتِ يا مصر التَّحررَ مرةً ... أعليكِ قدْ كانَ العذابُ لِزاما

النيلُ يشكو.. والقلوبُ مَراجلٌ ... والشعبُ ممتلىءُ النفوسِ ضراما

والسجنُ يَفغَرُ فاهُ لاستقبالنا ... والسوطُ فوقَ ظهورنا أحكاما

هوَ لعنةٌ نزلَتْ على قومي.. وما ... زالوا على رغمِ الهوانِ نياما

أُعفيهِ مِنْ كلِّ الملامِ فإنَّهُ ... ذئبٌ رأى في جوعِهِ أَغناما

---

(١) القتام : الغبار.

(٢) أي يخفون وجوههم كالنعامة.

(٣) لم يكن نهرو أقل من عبد الناصر ظلماً وطغياناً حيث ذاق المسلمون على يديه الأمرين في الهند، ولكن شاعرنا لم يكن لديه ذلك الوعي السياسي ليدرك ارتباط الطواغيت ببعضهم.